

من أين أبدأ؟!

- د. حسن رشيد

ماذا أكتب؟ ومن أين أبدأ؟! ورحلتنا في هذه الحياة عبر صداقة ممتدة في عمر الزمن. هنا وفي قاهرة المعز وتلك الحكايا التي لا تنتهي.. من يجمع الآن شملنا في ليالي رمضان، نعم كان الغياب في هذا العام غيبا قهريا.

وكان لقاءنا الأخير مع الرفقاء قبل رمضان بأسبوع، ذات الخلاء من ندمك بدءا بأستاذنا الدكتور حسن النعمة، جاسم هيدوس، إبراهيم الجيدة، ناصر الجابر، عبدالله الجابر وعدد من رجال الصحافة. كانت سيطرة المرض واضحة وجلية. ولكن كعادتك كنت تكابر.. نعم، كنت كعادتك قويا، صلبا في تحدي المرض الخبيث، وسافرت لأيام مع محمد مفتاح وعدت، ولكن كان غيابك عنا جميعا، لم تكن تريد أن تزعج أحدا منا، أو تقرأ في عيوننا ملامح الحزن، كنت قويا، صلبا، مؤمنا بقضاء الله وقدره.



أيها الراحل العظيم.. الموت حق، وكل ابن أنثى وإن طالت سلامته لا بد، كما قال الشاعر، أن يترك الدنيا الفانية إلى دار الخلود، أما أنت فقد تركت لكل الأجيال أعمالا عظيمة.. بدءا بإنسانيتك ونبيل أخلاقك، بثقافة موسوعية، ومعرفة في كل أمور الحياة، تركت للأجيال، كل الأجيال، علامات وأثارا في حب الوطن، هذا الوطن الممتد من الماء إلى الماء، وتركت صرخات في ضمير الإنسانية، كنت تتوجع لمعاناة الإنسان، ولذا تعددت صرخاتك، هنا وهناك، في فلسطين واليوسنة وأدغال إفريقيا، أيها الراحل الجليل، ماذا أقول؟، وماذا أكتب والكلمات تفر من بين أصابعي؟ وأنا واحد من مريدك. مع الصديق مرزوق بشير، ومحمد رشيد والمرحوم محمد الساعي، وحكاياتنا التي لم تنته.. أيها الراحل العظيم، أنت باق في ذواتنا.. علما وثقافة ومعرفة وكنزا من الإبداع في كل الأطر.. فعند نشيد السلام الوطني، سوف تكون حاضرا، وفي أناشيد هذا الوطن تكون حاضرا، وعندما نقلب في إرثنا الفلكلوري تكون حاضرا، صديقي وأخي بوسعود عذرا، فأنت أكبر من كل كلمات الرثاء.. لك الرحمة.. ولنا الصبر والسلوان..

«إنا لله وإنا إليه راجعون».